الرسائل الميئية

17/100

لفظ النزول

في كتاب الله

من رسائل شيخ الإسلام
أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية
المتوفى سنة 728هـ - رحمه الله



اعتنى بإخراجها وتخريجها
أبو عبدالعزيز
إبراهيم بن سلطان العريفان





إجازة المطبوعة

السلام عليكم ورحمة االله وبركاته

تم تسجيل هذه المادة لصالح المؤلف/المعد أدناه بعد التعهد بالالتزام بجميع الشروط و الاحكام الخاصة بمحتوى المادة

اسم المادة	لفظ النزول في كتاب االله
نوع المادة	كتاب إلكتروني
المحقق	إبراهيم بن سلطان العريفان
المترجمون	
المعدون	
المؤلفون	• إبراهيم سلطان العريفان
رقم النسخة	1
اسم الناشر باللغة العربية	إبراهيم سلطان العريفان
اسم الناشر باللغة الإنجليزية	IBRAHEEM SULTAN ALURIFAN
رقم التسجيل	202408135127952
تاريخ التسجيل	2024-08-13



Tel: + 966 11 8134444 هاتف | P.O.Box 75222 صندوق بريد | المملكة العربية السعودية
Fax: + 966 11 8134400 فاكس | Riyadh 11578 رمز بريدي | Kingdom of Saudi Arabia



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

فهذه الرسالة السابعة عشرة ضمن الرسائل الميئية[١] من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تتضمن بيان لفظ "النزول" في كتاب الله.

حيث أن القرآن الكريم – كلام رب العالمين – فيه ألفاظ ذو معان متعددة[٢]، وهو ما يُعرف عند العلماء المنشغلين بعلوم القرآن بـ "الوجوه والنظائر"[٣].

---

(١) استعنت بالله في البدء للعناية برسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهدفي أن أصل إلى مائة رسالة بمشيئة الله تعالى.

(٢) إن علمًا متعلقًا بكتاب الله ويدور بين ألفاظه ومعانيه، لخليق أن ينال عناية العلماء؛ لمن له عناية بالقرآن الكريم. ومن أشهر من اعتنى بذلك:

مقاتل بن سليمان البلخي (ت: ١٥٠هـ) وكتابه الموسوم (الأشباه والنظائر) وضمنه مائة وسبعاً وسبعين لفظة يذكر اللفظة ثم ما فيها من وجوه، وإذا كان للوجه نظائر ذكرها، وإن لم يكن لها نظائر اكتفى بذكر آية واحدة.

وألف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) كتابه الموسوم بـ (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) وضمنه ثلاث مائة وأربعاً وعشرين لفظة، يذكر أولاً معنى اللفظة في اللغة ثم ما فيها من وجوه.

انظر: مقدمة كتاب زوائد ابن الجوزي على مقاتل في الوجوه والنظائر، لفضيلة الشيخ فهد بن إبراهيم بن عبد الله الضالع حفظه الله.

(٣) قال ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص:٨٣): وَأَعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى الْوُجُوه وَالنَّظَائِر: أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَة وَاحِدَة، ذُكِرَتْ فِي مَوَاضِع مِنْ الْقُرْآنِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ، وَحَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأُرِيد بِكُلِّ

ومنها لفظ "النزول" فقد ذكر العلماء لهذا اللفظ معانٍ متعددة حسب موضعها من القرآن. واتخذ أهل البدع من تلك المعاني حجة في معتقدهم بنزول القرآن المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

لذا تصدى شيخ الإسلام رحمه الله لنصر الحق، وبيَّن بالأدلة العلمية والعقلية والواقعية أن تلك المعاني المتعددة للفظ "النزول" ترجع إلى المعنى المعروف لغة، وهو: حط الشيء من العلو.

وقد اجتهدتُ في العناية على إخراج هذه الرسالة وتخريجها، وبيان ما يحتاج إلى بيانه، معتمدًا بعد الله عَزَّ وَجَلَّ بكتب أهل العلم.

أسأل الله أن يرحم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأن ينفع بهذه الرسالة وغيرها، وأن يجزي كل من قرأ وأفاد واستفاد، وكل من تواصل معي بإبداء رأي أو اقتراح أو تنبيه. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إبراهيم بن سلطان العريفان

٠٥٦٥٦٥٤٣٢١

المنطقة الشرقية – محافظة الخبر

يوم الجمعة ٥/٢/١٤٤٦هـ

مَكَانٍ مَعْنًى غَيْرَ الآخِر، فَلَفْظُ كُلُّ كَلِمَةٍ ذُكِرَتْ فِي مَوضِع نَظِير لِلَفْظِ الْكَلِمَةِ الْمَذْكُورَة فِي الْمَوْضَعَ الآخَرِ، وَتَفْسِيرُ كُلُّ كَلَمَةٍ بِمَعْنى غَيْرِ مَعْنى الأُخْرَى هُوَ الْوُجُوه.

فَإِذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني، فَهَذَا الأَصْل فِي وضع كتب الْوُجُوه والنظائر، وَالَّذِي أَرَادَ الْعلمَاء بِوَضْع كتب الْوُجُوه والنظائر؛ أَن يعرفوا السَّامع لهَذِهِ النَّظَائِر أَن مَعَانِيهَا تخْتَلف، وَأَنه لَيْسَ المرَاد بِهَذِهِ اللَّفْظَة مَا أُرِيد بِالْأُخْرَى. أ.هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ[٤]:-

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا فَصْلٌ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ. وَلَفْظُ (النُّزُولِ) حَيْثُ ذُكِرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَسَّرُوا النُّزُولَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ مَا هُوَ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفُ، لِاشْتِبَاهِ الْمَعْنَى فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ، وَصَارَ ذَلِكَ حُجَّةً لِمَنْ فَسَّرَ نُزُولَ الْقُرْآنِ بِتَفْسِيرِ أَهْلِ الْبِدَعِ[٥].

فَمِنْ الْجَهْمِيَّةِ[٦] مَنْ يَقُولُ: أَنْزَلَ بِمَعْنَى خَلَقَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٦-٢٥٧).

(٥) قال أبو بكر ابن العربي في كتاب المسالك في شرح موطأ مالك (٣/٤٤٧): اعلم أنّ معنى النُّزول في اللُّغة والقُرآن والسُّنَّة ينطلقُ على تِسْعَة معانٍ، منها معاني مختلفة، ولم يكن هذا اللّفظ ممّا يخصُّ أمرًا واحدًا حتّى لا يمكن العدول عنه إلى غيره، بل وَجَدْنَاهُ مشترك المعنى، فاحتملَ التّأويل والتّخريج والتّرتيب في ذلك.

(٦) الجَهْميَّةُ: إحدى الفِرَقِ الكلاميَّةِ التي تنتَسِبُ إلى الإسلامِ، والجَهْميَّةُ نِسبةٌ إلى الجَهْمِ بنِ صَفوانَ واضِعِ عَقيدتِهم، وهو تلميذُ الجَعدِ بنِ دِرهَمٍ، الَّذي تخرَّج بأبانَ بنِ سمعانَ اليَهوديّ.

والجَهْمُ بنُ صَفوانَ التِّرمِذيُّ، من أهلِ بَلخٍ، مولًى لبني راسِبٍ، ظهر في المائةِ الثَّانيةِ من الهِجرةِ، وهو حامِلُ لواءِ الجَهْميَّةِ ورأسُها، وإليه تنتَسِبُ، وقد ظهَرت بِدعتُه بتِرمِذَ. وكان قد خرج مع الحارِثِ بنِ سُرَيجٍ الذي تمرَّد على الدَّولةِ الأُمويَّة، وقتَله سَلْمُ بنُ الأحوَزِ المازنيُّ بمَرْوٍ نحوَ سنةِ ١٢٨هـ. وقد كان أوَّلَ من أشهَر بدعة القَولِ بخَلقِ القرآنِ وتعطيلِ اللهِ عن صفاتِه.



فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٧] أَوْ يَقُولُ: خَلَقَهُ فِي مَكَانٍ عَالٍ؛ ثُمَّ أَنْزَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ.

وَمِنْ الْكُلَّابِيَةِ[٨] مَنْ يَقُولُ: نُزُولُهُ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ بِهِ، وَإِفْهَامِهِ لِلْمَلَكِ. أَوْ نُزُولِ الْمَلَكِ بِمَا فَهِمَهُ. وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ بَاطِلٌ فِي اللُّغَةِ وَالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: ذِكْرُ النُّزُولِ، فَنَقُولُ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ:

النُّزُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

- نُزُولٌ مُقَيَّدٌ بِأَنَّهُ مِنْهُ.
- وَنُزُولٌ مُقَيَّدٌ بِأَنَّهُ مِنْ السَّمَاءِ.
- وَنُزُولٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ لَا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا.

فَالْأَوَّلُ لَمْ يَرِدْ إلَّا فِي الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

---

(٧) سورة الحديد، رقم الآية (٢٥).

(٨) الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري (ت: ٢٤٣هـ) له مصنفات كثيرة في الرد على الجهمية والمعتزلة، وربما وافق المعتزلة، وكان يميل إلى مذهب أهل السنة، لكن فيه نوع من البدعة، وقد خاض في علم الكلام، وهو الذي ابتدع القول بأن كلام الله قائم بذات الله بلا مشيئة.

فالكلابية ضلت في صفة الكلام، ولم يثبتوها على الوجه اللائق بالله تعالى؛ وذلك لأن مسمى الكلام عند الكلابية هو المعنى فقط دون اللفظ، والمتكلم عند الكلابية من قام به الكلام ولو لم يكن بفعله ولا هو بمشيئته ولا قدرته، ويقولون: الكلام صفة ذات لا صفة فعل، وكلام الله عندهم معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وقالوا: القديم لا يكون حروفًا ولا أصواتًا، والحروف والأصوات عبارة عن المعنى القائم بذات المتكلم، وقالوا: الأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع له.

فقول الكلابية في الكلام قول مبتدع، مخالف لأدلة الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، كما هو مخالف للمعقول.

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[٩] وقَالَ تَعالَى ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[١٠] وَقَالَ تَعَالَى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١١] وَفِيهَا قَوْلَانِ[١٢]:

أَحَدُهُمَا: لَا حَذْفَ فِي الْكَلَامِ، بَلْ قَوْلُهُ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هَذَا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾.

وَعَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١٣] وَكَذَلِكَ ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١٤] ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١٥] وَالتَّنْزِيلُ بِمَعْنَى الْمُنَزَّلِ تَسْمِيَةً لِلْمَفْعُولِ بِاسْمِ الْمَصْدَرِ[١٦]، وَهُوَ كَثِيرٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ

---

(٩) سورة الأنعام، رقم الآية (١١٤).

(١٠) سورة النحل، رقم الآية (١٠٢).

(١١) سورة الزمر، رقم الآية (١).

(١٢) انظر: كتاب البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٩/١٨١). وتفسير أبي السعود (٧/٢٤٠).

(١٣) سورة الأحقاف، رقم الآية (١-٢).

(١٤) سورة فصّلت، رقم الآية (١-٢).

(١٥) سورة غافر، رقم الآية (١-٢).

(١٦) قال ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير (١٢/٣٤٧): وَالتَّنْزِيلُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أُخْبِرَ عَنْهُ بِالْمَصَدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَحْقِيقِ كَوْنِهِ مُنَزَّلًا. وانظر أيضًا: تفسير أبي السعود (٧/٧٩).

مِنْهُ بَدَأَ. قَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: وَإِلَيْهِ يَعُودُ[١٧]. أَيْ: هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ. وَقَالَ: كَلَامُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ[١٨]. أَيْ: لَمْ يَخْلُقْهُ فِي غَيْرِهِ. فَيَكُونُ مُبْتَدَأً مُنَزَّلًا مِنْ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ؛ بَلْ هُوَ مُنَزَّلٌ مِنْ اللَّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمِنْ اللَّهِ بَدَأَ لَا مِنْ مَخْلُوقٍ فَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ لِخَلْقِهِ.

وَأَمَّا النُّزُولُ الْمُقَيَّدُ بِالسَّمَاءِ، فَقَوْلُهُ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾[١٩] وَالسَّمَاءُ اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ مَا عَلَا[٢٠]. فَإِذَا قُيِّدَ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ تَقَيَّدَ بِهِ، فَقَوْلُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ السَّمَاءِ مُطْلَقٌ أَيْ فِي الْعُلُوِّ[٢١]؛ ثُمَّ قَدْ بَيَّنَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾[٢٢] وَقَوْلُهُ ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[٢٣]

---

(١٧) ذكر الدارمي في الرد على الجهمية (٣٤٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٣) كل منهما بسنده قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللَّهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ خَرَجَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

(١٨) قال ابن النجار الفتوحي في شرح الكوكب المنير (٢/٨٨): قَالَ أَحْمَدُ: كَلامُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ. وَقَدْ جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ أَنَّهُ مِنْهُ بَدَأَ، وَمِنْهُ خَرَجَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، نَصًّا مِنْهُ، وَمِنْ غَيْرِهِ عَلَيْهِ.

(١٩) سورة المؤمنون، رقم الآية (١٨).

(٢٠) (السَّمَاءُ) يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَجَمْعُهُ: أَسْمِيَةٌ، وَسَمَوَاتٌ. وَهُوَ كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ. وَمِنْهُ قِيلَ لِسَقْفِ الْبَيْتِ: سَمَاءٌ. وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ السُّمُوُّ وَهُوَ الِارْتِفَاعُ وَالْعُلُوُّ، يُقَالُ مِنْهُ: سَمَوْتُ وَسَمَيْتُ، مِثْلُ: عَلَوْتُ وَعَلَيْتُ. انظر: مختار الصحاح للرازي (ص:١٥٥) ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص:٣٥٨).

(٢١) قال ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (ص:٣٥٨-٣٥٩): وَذكر بعض الْمُفَسّرين أَن السَّمَاء فِي الْقُرْآن على خَمْسَة أوجه: أَحدهَا: السَّمَاء الْمَعْرُوفَة ... وَالثَّانِي: السَّحَاب ... وَالثَّالِث: الْمَطَر ... وَالرَّابِع: سقف الْبَيْت ... وَالْخَامِس: سقف الْجنَّة وسقف النَّار. أ.هـ باختصار.

(٢٢) سورة الواقعة، رقم الآية (٦٩).

(٢٣) سورة النور، رقم الآية (٤٣).



أَيْ: أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ السَّحَابِ، وَمِمَّا يُشْبِهُ نُزُولَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٢٤] فَنُزُولُ الْمَلَائِكَةِ هُوَ نُزُولُهُمْ بِالْوَحْيِ مَنْ أَمْرِهِ الَّذِي هُوَ كَلَامُهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[٢٥] يُنَاسِبُ قَوْلَهُ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٢٦] فَهَذَا شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾[٢٧].

وَأَمَّا الْمُطْلَقُ، فَفِي مَوَاضِعَ. مِنْهَا:

مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِنْزَالِ السَّكِينَةِ؛ بِقَوْلِهِ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٨] وَقَوْلِهِ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٩] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: إِنْزَالُ الْمِيزَانِ، ذَكَرَهُ مَعَ الْكِتَابِ فِي مَوْضِعَيْنِ[٣٠]، وَجُمْهُورُ

---

(٢٤) سورة النحل، رقم الآية (٢).

(٢٥) سورة القدر، رقم الآية (٤).

(٢٦) سورة الدخان، رقم الآية (٤-٥).

(٢٧) سورة النحل، رقم الآية (١٠٢).

(٢٨) سورة التوبة، رقم الآية (٢٦).

(٢٩) سورة الفتح، رقم الآية (٤).

(٣٠) في سورة الشورى (١٦) ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ وفي سورة الحديد (٢٥) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْعَدْلُ[٣١]، وَعَنْ مُجَاهِدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هُوَ مَا يُوزَنُ بِهِ[٣٢]. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ.

وَكَذَلِكَ الْعَدْلُ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ، مُنَزَّلٌ فِي الْقُلُوبِ، وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ تَنْزِلُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَقَوْلِهِ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣٣] فَذَلِكَ الثَّبَاتُ نَزَلَ فِي الْقُلُوبِ؛ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ السَّكِينَةُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ؛ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ، وُكِّلَ إِلَيْهِ. وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الْقَضَاءَ؛ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ"[٣٤] فَاللَّهُ يُنَزِّلُ عَلَيْهِ مَلَكًا، وَذَلِكَ الْمَلَكُ يُلْهِمُهُ السَّدَادَ، وَهُوَ يَنْزِلُ فِي قَلْبِهِ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ ؓ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ

---

(٣١) قال ابن كثير في تفسيره (٨/٥٩): وَالْمِيزَانَ وهو: العدلُ. قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وغيرُهما. وهو الحقُّ الَّذي تَشهَدُ به العقولُ الصَّحيحةُ المستقيمةُ، المخالِفةُ للآراءِ السَّقيمةِ. وانظر تفسير الطبري (٢١/٥٢٠).

(٣٢) قال العلامة ابن عثيمين في تفسير سورة الشورى (ص:١٦٨): الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ :إثباتَ القياسِ؛ لقولِهِ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ لأن الميزانَ ما تُوزَنُ به الأشياءُ ويُقَارَنُ بينها، ففيه إثباتُ القياسِ في الشرائعِ السَّماويَّةِ، وهذه المسألةُ – أعني مسألةَ القياسِ – أَنْكَرَهَا بعضُ العلماءِ، ولا سِيَّما الظاهريَّةُ – عفا اللهُ عنا وعنهم – وإنكارُهُم هو المنْكَرُ؛ لأنَّ القياسَ جاء في الكتابِ والسُّنَّةِ، فهنا ذُكِرَ الميزانُ، والميزانُ ما تُوزَنُ به الأشياءَ وهذا لا يكونُ إلا بالقياسِ.

(٣٣) سورة الأنفال، رقم الآية (١٢).

(٣٤) الحديث عن أنس بن مالك ؓ. رواه الإمام أحمد (١٣٣٠٢) قال محققو المسند: إسناده ضعيف. ورواه أبو داود (٣٥٧٨) والترمذي (١٣٢٣) وابن ماجه (٢٣٠٩) ضعفه الألباني في السنن، وفي السلسلة الضعيفة (١١٥٤).

أَنْزَلَ الْأَمَانَةَ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، فَعَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ؛ وَعَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ"[٣٥] وَالْأَمَانَةُ هِيَ الْإِيمَانُ[٣٦]، أَنْزَلَهَا فِي أَصْلِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَهُوَ كَإِنْزَالِ الْمِيزَانِ وَالسَّكِينَةِ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ" الْحَدِيثَ إلَى آخِرِهِ[٣٧]. فَذَكَرَ أَرْبَعَةً:

غِشْيَانَ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ: أَنْ تَغْشَاهُمْ، كَمَا يَغْشَى اللِّبَاسُ لَابِسَهُ، وَكَمَا يَغْشَى الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، وَاللَّيْلُ النَّهَارَ.

ثُمَّ قَالَ: "وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ: وَهُوَ إنْزَالُهَا فِي قُلُوبِهِمْ.

"وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ" أَيْ: جَلَسَتْ حَوْلَهُمْ.

"وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

---

(٣٥) رواه البخاري (٧٢٧٦) ومسلم (٢٣٠-١٤٣).

(٣٦) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦٨/٢): الْأَمَانَةُ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا التَّكْلِيفُ الَّذِي كَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ، وَالْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ الْفَرَائِضُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الدِّينُ، وَالدِّينُ كُلُّهُ أَمَانَةٌ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْأَمَانَةُ مَا أُمِرُوا بِهِ؛ وَمَا نُهُوا عَنْهُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْأَمَانَةُ الطَّاعَةُ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ -وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ- قَالَ: فَالْأَمَانَةُ فِي قَوْلِ جَمِيعِهِمْ: الطَّاعَةُ وَالْفَرَائِضُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِأَدَائِهَا الثَّوَابُ؛ وَبِتَضْيِيعِهَا الْعِقَابُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣٧) روى مسلم في صحيحه (٣٨-٢٦٩٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وما اجْتَمع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ".

وَذَكَرَ اللَّهُ الْغِشْيَانَ فِي مَوَاضِعَ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[٣٨] وَقَوْلِهِ ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾[٣٩] وَقَوْلِهِ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[٤٠] وَقَوْلِهِ ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٤١] هَذَا كُلُّهُ فِيهِ إحَاطَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَذَكَرَ تَعَالَى إنْزَالَ النُّعَاسِ فِي قَوْلِهِ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾[٤٢] هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ. وَقَالَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾[٤٣] وَالنُّعَاسُ يَنْزِلُ فِي الرَّأْسِ، بِسَبَبِ نُزُولِ الْأَبْخِرَةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الدِّمَاغِ، فَتَنْعَقِدُ، فَيَحْصُلُ مِنْهَا النُّعَاسُ.

وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ -مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ- جَعَلُوا النُّزُولَ وَالْإِتْيَانَ وَالْمَجِيءَ حَدَثًا يُحْدِثُهُ، مُنْفَصِلًا عَنْهُ. فَذَاكَ هُوَ إتْيَانُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ. فَقَالُوا: اسْتِوَاؤُهُ فِعْلٌ يَفْعَلُهُ فِي الْعَرْشِ، يَصِيرُ بِهِ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ يَقُومُ بِالرَّبِّ[٤٤]. لَكِنَّ

---

(٣٨) سورة الأعراف، رقم الآية (٥٤).

(٣٩) سورة الأعراف، رقم الآية (١٨٩).

(٤٠) سورة النجم، رقم الآية (٥٣-٥٤).

(٤١) سورة هود، رقم الآية (٥).

(٤٢) سورة آل عمران، رقم الآية (١٥٤).

(٤٣) سورة الأنفال، رقم الآية (١١).

(٤٤) مما يوضح هذه مسألة، ما ذكره شيخ الإسلام في موضع آخر، حيث قال: كَانَ قَوْلُ ابْنِ كُلَّابٍ وَالْأَشْعَرِيِّ والقلانسي وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ؛ إنَّ الِاسْتِوَاءَ

أَكْثَرَ النَّاسِ خَالَفُوهُمْ، وَقَالُوا: الْمَعْرُوفُ أَنَّهُ لَا يَجِيءُ شَيْءٌ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَعْرَاضِ، إِلَّا بِمَجِيءِ شَيْءٍ. فَإِذَا قَالُوا: جَاءَ الْبَرْدُ أَوْ جَاءَ الْحَرُّ فَقَدْ جَاءَ الْهَوَاءُ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، وَهُوَ عَيْنٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا. وَإِذَا قَالُوا: جَاءَتْ الْحُمَّى، فَالْحُمَّى حَرٌّ أَوْ بَرْدٌ تَقُومُ بِعَيْنٍ قَائِمَةٍ، بِسَبَبِ أَخْلَاطٍ تَتَحَرَّكُ وَتَتَحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَيَحْدُثُ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ بِذَلِكَ. وَهَذَا بِخِلَافِ الْعَرَضِ الَّذِي يَحْدُثُ بِلَا تَحَوُّلٍ مِنْ حَامِلٍ، مِثْلُ لَوْنِ الْفَاكِهَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ فِي هَذَا: جَاءَتْ الْحُمْرَةُ وَالصُّفْرَةُ وَالْخُضْرَةُ، بَلْ يُقَالُ: أَحْمَرُ وَأَصْفَرُ وَأَخْضَرُ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنْزَالُهُ تَعَالَى الْعَدْلَ وَالسَّكِينَةَ وَالنُّعَاسَ وَالْأَمَانَةَ -وَهَذِهِ صِفَاتٌ تَقُومُ بِالْعِبَادِ- إِنَّمَا تَكُونُ إِذَا أَفْضَى بِهَا إِلَيْهِمْ. فَالْأَعْيَانُ الْقَائِمَةُ تُوصَفُ بِالنُّزُولِ، كَمَا تُوصَفُ الْمَلَائِكَةُ بِالنُّزُولِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ. فَإِذَا نَزَلَ بِهَا الْمَلَائِكَةُ قِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ.

وَكَذَلِكَ لَوْ نَزَلَ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ كَالْهَوَاءِ الَّذِي نَزَلَ بِالْأَسْبَابِ، فَيُحْدِثُ اللَّهُ مِنْهُ الْبُخَارَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ النُّعَاسُ، فَكَانَ قَدْ أَنْزَلَ النُّعَاسَ سُبْحَانَهُ بِإِنْزَالِ مَا يَحْمِلُهُ.

فِعْلٌ يَفْعَلُهُ الرَّبُّ فِي الْعَرْشِ. وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي النُّزُولِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُحْدِثُ فِي الْعَرْشِ قُرْبًا فَيَصِيرُ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُومَ بِهِ - نَفْسُهُ - فِعْلٌ اخْتِيَارِيٌّ سَوَاءٌ قَالُوا: إِنَّ الْفِعْلَ هُوَ الْمَفْعُولُ أَوْ لَمْ يَقُولُوا بِذَلِكَ. وَكَذَلِكَ النُّزُولُ عِنْدَهُمْ؛ فَهُمْ يَجْعَلُونَ الْأَفْعَالَ اللَّازِمَةَ بِمَنْزِلَةِ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِهِ فِعْلٌ اخْتِيَارِيٌّ، لِأَنَّ ذَلِكَ حَادِثٌ؛ فَقِيَامُهُ بِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَقُومَ بِهِ الْحَوَادِثُ، فَنَفَوْا ذَلِكَ لِهَذَا الْأَصْلِ الَّذِي اعْتَقَدُوهُ. انظر مجموع الفتاوى (٥/٤٣٧).



وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ إِنْزَالَ الْحَدِيدِ، وَالْحَدِيدُ يُخْلَقُ فِي الْمَعَادِنِ. وَمَا يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ مِنْ الْجَنَّةِ، وَمَعَهُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ مِنْ حَدِيدٍ: السِّنْدَانُ وَالْكَلْبَتَانِ وَالْمِنْقَعَةُ وَالْمِطْرَقَةُ وَالْإِبْرَةُ(٤٥). فَهُوَ كَذِبٌ لَا يَثْبُتُ مِثْلُهُ.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ "**أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ أَرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَنْزَلَ الْحَدِيدَ وَالْمَاءَ وَالنَّارَ وَالْمِلْحَ**"(٤٦) حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ، فِي إِسْنَادِهِ سَيْفُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ ابْنُ أُخْتِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَهُوَ مِنْ الْكَذَّابِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْكَذِبِ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: هُوَ سَيْفُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ أُخْتِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ يَرْوِي عَنْ الثَّوْرِيِّ وَعَاصِمٍ الْأَحْوَلِ وَالْأَعْمَشِ. قَالَ أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ كَذَّابٌ، يَضَعُ الْحَدِيثَ. وَقَالَ مَرَّةً: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقَالَ يَحْيَى: كَانَ كَذَّابًا خَبِيثًا. وَقَالَ مَرَّةً: لَيْسَ بِثِقَةٍ. وَقَالَ أَبُو دَاوُد: كَذَّابٌ. وَقَالَ زَكَرِيَّا السَّاجِي: يَضَعُ الْحَدِيثَ. وَقَالَ النِّسَائِيُّ: لَيْسَ بِثِقَةٍ وَلَا مَأْمُونٍ(٤٧). وَقَالَ الدارقطني:

---

(٤٥) ذكره الطبري في تاريخه (١/١٣٠) والثعلبي في تفسيره (٩/٢٤٦) والقرطبي في تفسيره (١٧/٢٦١).
السَّندانُ :الصَّلاءَةُ. انظر: اللسان (٣/٢٢٣). الكَلْبَتان: فالآلةُ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الحَدَّادين. انظر: اللسان (١/٧٢٥). المِيقَعةُ: مَا وُقِعَ بِهِ السَّيْفُ، وَقِيلَ: المِيقَعة المِسَنُّ الطَّوِيلُ. انظر: اللسان (٨/٤٠٧).

(٤٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/٢٤٧) والواحدي في تفسيره (٤/٢٥٣) والديلمي في الفردوس (٦٥٦) والبغوي في تفسيره (٨/٤١). وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠٥٣).

(٤٧) انظر: كتاب الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (٢/٣٥).

ضَعِيفٌ مَتْرُوكٌ(٤٨).

وَالنَّاسُ يَشْهَدُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلَاتِ تُصْنَعُ مِنْ حَدِيدِ الْمَعَادِنِ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ مَعَهُ جَمِيعُ الْآلَاتِ فَهَذِهِ مُكَابَرَةٌ لِلْعِيَانِ. وَإِنْ قِيلَ: بَلْ نَزَلَ مَعَهُ آلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَتِلْكَ لَا تُعْرَفُ. فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي هَذَا لِسَائِرِ النَّاسِ! ثُمَّ مَا يَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآلَاتِ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ حَدِيدٌ مَوْجُودٌ يُطْرَقُ بِهَذِهِ الْآلَاتِ. وَإِذَا خَلَقَ اللَّهُ الْحَدِيدَ صُنِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْآلَاتُ مَعَ أَنَّ الْمَأْثُورَ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ خَطَّ وَخَاطَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ(٤٩). وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَخِطْ ثَوْبًا، فَمَا يَصْنَعُ بِالْإِبْرَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ بِذِكْرِ الْحَدِيدِ هُوَ اتِّخَاذُ آلَاتِ الْجِهَادِ مِنْهُ، كَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَالنَّصْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ الَّذِي بِهِ يُنْصَرُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَهَذِهِ لَمْ تَنْزِلْ مِنْ السَّمَاءِ. فَإِنْ قِيلَ: نَزَلَتْ الْآلَةُ الَّتِي يُطْبَعُ بِهَا، قِيلَ: فَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِهَذِهِ الْمَعَانِي الْمُتَقَدِّمَةِ، وَالْآلَةُ وَحْدَهَا لَا تَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَادَّةٍ يُصْنَعُ بِهَا آلَاتُ الْجِهَادِ.

لَكِنَّ لَفْظَ النُّزُولِ أَشْكَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ، حَتَّى قَالَ قُطْرُبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ جَعَلَهُ نُزُلًا، كَمَا يُقَالُ أَنْزَلَ الْأَمْرَ عَلَى فُلَانٍ نُزُلًا حَسَنًا. أَيْ جَعَلَهُ

---

(٤٨) انظر: كتاب الكمال في أسماء الرجال للمقدسي عبدالغني (٥/٣٦٠).

(٤٩) ذكره ابن الجوزي في كتاب التبصرة (١/٥٨) وكتاب المدهش (ص:٥٢).



نُزُلًا[٥٠]. قَالَ وَمِثْلُهُ قَوْله تَعالَى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٥١] وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ فَإِنَّ النُّزُلَ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى مَا يُؤْكَلُ، لَا عَلَى مَا يُقَاتَلُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[٥٢] وَالضِّيَافَةُ سُمِّيَتْ نُزُلًا[٥٣]، لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الضَّيْفَ يَكُونُ رَاكِبًا، فَيَنْزِلُ فِي مَكَانٍ، يُؤْتَى إِلَيْهِ بِضِيَافَتِهِ فِيهِ. فَسُمِّيَتْ نُزُلًا لِأَجْلِ نُزُولِهِ. وَنَزَلَ بِبَنِي فُلَانٍ ضَيْفٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٥٤] لِأَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا فِي السَّفِينَةِ[٥٥].

---

(٥٠) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٦/٩٤) والواحدي في تفسيره (٢١/٣١١) والبغوي في تفسيره (٨/٤١).

(٥١) سورة الزمر، رقم الآية (٦).

(٥٢) سورة الواقعة، رقم الآية (٩٣).

(٥٣) قال ابن عاشور في تفسيره (٢٧/٣١١): وَالنُّزُلُ بِضَمِّ النُّونِ وَضَمِّ الزَّايِ وَسُكُونِهَا مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ مِنْ طَعَامٍ .وَهُوَ هُنَا تَشْبِيهٌ تَهَكُّمِيٌّ كَالِاسْتِعَارَةِ التَّهَكُّمِيَّةِ فِي قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَن تشتمونا

قال ابن كثير في تفسير الآية (٨/٣٧): أَيْ فَضِيَافَةٌ مِنْ حَمِيمٍ، وَهُوَ الْمُذَابُ الَّذِي يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ.

(٥٤) سورة المؤمنون، رقم الآية (٢٩).

في قولِه تعالى ﴿مُنْزَلًا﴾ قِراءتانِ، قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر (٢/٣٢٨): فَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الزَّايِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الزَّايِ. أ.هـ وذكره أيضًا الإمام الطبري في تفسيره (١٩/٢٨). والقرطبي في تفسيره (١٢/١١٩).

قِراءةُ ﴿مَنزِلًا﴾ اسمُ مَكانٍ، بمعنى مَوضِعِ النُّزولِ.

قِراءةُ ﴿مُنْزَلًا﴾ وهو مصدرٌ بمعنى الإنزالِ، أي: أَنْزِلْني إنْزالًا مُبارَكًا. وقيل: هو اسمُ مفعولٍ مِن (أنزله) على حذفِ المجرورِ، أي: مُنزلًا فيه. وقيل: يَرجِعُ لمعنى القِراءةِ الأُولَى، بمعنَى: مَوضِعًا مُبارَكًا يَنزلونَ فيه.

انظر: كتاب معاني القراءات للأزهري (٢/١٨٩-١٩٠) وكتاب حجة القراءات لابن زنجلة (ص:٤٨٦).

(٥٥) قال القرطبي في تفسيره (١٢/١٢٠): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: هَذَا حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ

وَسُمِّيَتْ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَنْزِلُ بِهَا الْمُسَافِرُونَ مَنَازِلَ، لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رُكْبَانًا؛ فَيَنْزِلُونَ. وَالْمُشَاةُ تَبَعٌ لِلرُّكْبَانِ وَتُسَمَّى الْمَسَاكِنُ مَنَازِلَ.

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ نُزُولَ الْحَدِيدِ بِمَعْنَى الْخَلْقِ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَعَادِنِ؛ وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ. فَإِنَّ الْحَدِيدَ إنَّمَا يُخْلَقُ فِي الْمَعَادِنِ، وَالْمَعَادِنُ إنَّمَا تَكُونُ فِي الْجِبَالِ. فَالْحَدِيدُ يُنَزِّلُهُ اللَّهُ مِنْ مَعَادِنِهِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ، لِيَنْتَفِعَ بِهِ بَنُو آدَمَ[٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٥٧] وَهَذَا مِمَّا أَشْكَلَ أَيْضًا. فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: جَعَلَ[٥٨]. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: خَلَقَ[٥٩]، لِكَوْنِهَا تُخْلَقُ مِنْ الْمَاءِ. فَإِنَّ بِهِ يَكُونُ النَّبَاتُ الَّذِي يَنْزِلُ أَصْلُهُ مِنْ السَّمَاءِ، وَهُوَ

تَعَالَى ﴿اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ سورة هود (٤٨). وَقِيلَ: حِينَ دَخَلَهَا، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ ﴿مُبارَكاً﴾ يَعْنِي بِالسَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ.

وقال السمعاني في تفسيره (٣/٤٧٢): وَفِي مَوضِع النُّزُول قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنه السَّفِينَة بعد الرّكُوب. وَالْآخر: أَنه الأَرْض بعد النُّزُول من السَّفِينَة. وَالْبركَة بعد النُّزُول هُوَ كَثْرَة النَّسْل من أَوْلَاده الثَّلَاثَة، وَالْبركَة قبل النُّزُول هُوَ النجَاة.

(٥٦) ذكره الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/٢٦١) حيث قال: وَقِيلَ ﴿أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أَيْ أَنْشَأْنَاهُ وَخَلَقْنَاهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ. فَيَكُونُ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرُ مُنَزَّلٍ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: أَيْ أَخْرَجَ الْحَدِيدَ مِنَ الْمَعَادِنِ، وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ بِوَحْيِهِ.

(٥٧) سورة الزمر، رقم الآية (٦).

(٥٨) ذكر الأقوال الإمام البغوي في معالم التنزيل (٧/١٠٩). وقال الثعلبي في تفسيره (٢٣/١٢): وأنشأ وجعل ﴿لَكُمْ﴾ وقال بعض أهل المعاني: جعلها لكم نزلًا ورزقًا لكم.

(٥٩) قال العلامة ابن عثيمين في تفسير سورة الزمر (ص:٥٦): الإنزال هنا بمعنى: الخَلْق؛ لأنَّها أُضيفتْ إلى أعيان وهي الأنعامُ.

الْمَاءُ[٦٠]. وَقَالَ قُطْرُبُ: جَعَلْنَاهُ نُزُلًا[٦١].

وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِخْرَاجِ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفِ لُغَةً؛ فَإِنَّ الْأَنْعَامَ تَنْزِلُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا؛ وَمِنْ أَصْلَابِ آبَائِهَا، تَأْتِي بُطُونَ أُمَّهَاتِهَا. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: قَدْ أَنْزَلَ الْمَاءَ. وَإِذَا أَنْزَلَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ غَالِبُ إِنْزَالِهِ وَهُوَ عَلَى جَنْبٍ، إِمَّا وَقْتَ الْجِمَاعِ؛ وَإِمَّا بِالِاحْتِلَامِ. فَكَيْفَ بِالْأَنْعَامِ الَّتِي غَالِبُ إِنْزَالِهَا مَعَ قِيَامِهَا عَلَى رِجْلَيْهَا؛ وَارْتِفَاعِهَا عَلَى ظُهُورِ الْإِنَاثِ[٦٢].

وَمِمَّا يُبَيِّنُ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْ النُّزُولَ فِيمَا خَلَقَ مِنْ السُّفْلِيَاتِ، فَلَمْ يَقُلْ أَنْزَلَ النَّبَاتَ، وَلَا أَنْزَلَ الْمَرْعَى. وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَ فِيمَا يُخْلَقُ فِي مَحَلٍّ عَالٍ، وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ

---

(٦٠) قال الأنصاري في كتابه فتح الرحمن (ص:٤٩٤): إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أنَّ الأنعامَ مخلوقةٌ في الأرضِ، لا منزلةٌ من السَّماءِ؟ قلتُ: هذا من مجازِ النسبةِ إلى سبب السَّبب، إذِ الأنعامُ لما كانت لا تعيش إلّا بالنَّباتِ، والنَّباتُ لا يعيش إلا بالمطرِ، والمطرُ منزلٌ من السماء، وصفها بالإنزالِ، من تسمية المسبَّب باسم سَببِ سببه.

أو معناه: وقضى لكم، لأن قضاءه منزلٌ من السماء، من حيث كُتب في اللوح المحفوظ.

أو خلقها في الجنة ثم أنزلها على آدم عليه السلام، بعد إنزاله إلى الأرض، والإنزالُ بمعنى الإحداثِ والإنشاءِ، لقوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾.

(٦١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩٤/٢٦): وقال قطرب: هذا من النُّزل، كما تقول: أنزل الأمير على فلان نُزُلًا حسنًا، فمعنى الآية: أنّه جعل ذلك نزلًا لهم.

(٦٢) والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى يُنزِلُ الماءَ مِن أصلابِ الذُّكورِ إلى بُطونِ الإناثِ، ثمَّ يُنزِلُ الأجِنَّةَ مِن بطونِ الإناثِ إلى الأرضِ، ومِن المشهورِ في اللُّغةِ أنَّه يُقالُ عن ابنِ آدَمَ: أنزَل الماءَ أو المنيَّ، فالأنعامُ يَعلو بعضُها بعضًا وهي قائمةٌ أو قاعدةٌ، وتَلِدُ وهي كذلك قائمة، فيُنزِلُ اللهُ تعالى منها أولادَها، وتسميةُ ذلك إنزالًا ليس بدُونِ تسميةِ إخراجِ المنيّ إنزالًا، بل أبلَغُ. انظر كتاب بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١١-١٠/٦) بتصرف.



مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ، كَالْحَدِيدِ وَالْأَنْعَامِ.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[٦٣] الْآيَةَ، وَفِيهَا قِرَاءَتَانِ[٦٤]:

إِحْدَاهُمَا: بِالنَّصْبِ، فَيَكُونُ لِبَاسُ التَّقْوَى أَيْضًا مُنَزَّلًا.

وَإِمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ، فَلَا.

وَكِلَاهُمَا حَقٌّ، وَقَدْ قِيلَ: فِيهِ خَلَقْنَاهُ. وَقِيلَ: أَنْزَلْنَا أَسْبَابَهُ. وَقِيلَ: أَلْهَمْنَاهُمْ كَيْفِيَّةَ صَنْعَتِهِ[٦٥]. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ ضَعِيفَةٌ؛ فَإِنَّ النَّبَاتَ الَّذِي ذَكَرُوا لَمْ يَجِئْ فِيهِ لَفْظُ أَنْزَلْنَا، وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي كُلِّ مَا يُصْنَعُ أَنْزَلْنَا. فَلَمْ يَقُلْ: أَنْزَلْنَا الدُّورَ، وَأَنْزَلْنَا الطَّبْخَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهُوَ لَمْ يَقُلْ: إِنَّا أَنْزَلْنَا كُلَّ لِبَاسٍ وَرِيَاشٍ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الرِّيشَ وَالرِّيَاشَ الْمُرَادُ بِهِ اللِّبَاسُ الْفَاخِرُ، كِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. مِثْلُ اللُّبْسِ وَاللِّبَاسِ. وَقَدْ قِيلَ: هُمَا الْمَالُ وَالْخِصْبُ وَالْمَعَاشُ[٦٦]. وَارْتَاشَ فُلَانٌ حَسُنَتْ حَالَتُهُ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ (الرِّيشَ) هُوَ الْأَثَاثُ وَالْمَتَاعُ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

---

(٦٣) سورة الأعراف، رقم الآية (٢٦).

(٦٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/٣٦٩-٣٧٠) وبعد أن ذكر القراءتان، قال أبو جعفر: وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ لصحة معناه في التأويل على ما بيّنت، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوءاتنا والرياش، توبيخًا للمشركين الذين كانوا يتجرّدون في حال طوافهم بالبيت.

(٦٥) انظر: تفسير القرطبي (٧/١٨٤).

(٦٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/٣٦٤).

أَعْطَانِي فُلَانٌ رِيشَهُ أَيْ كُسْوَتَهُ وَجِهَازَهُ(٦٧). وَقَالَ غَيْرُهُ: الرِّيَاشُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْأَثَاثُ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالثِّيَابِ وَالْفُرُشِ وَنَحْوِهَا(٦٨). وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْمَالِ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَالٌ مَخْصُوصٌ(٦٩). قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَمَالًا؛ وَهَذَا لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ وَهُوَ مَا يَرُوشُ بِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ. وَجَمَالُ الطَّائِرِ رِيشُهُ. وَكَذَلِكَ مَا يَبِيتُ فِيهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْفُرُشِ، وَمَا يَبْسُطُهُ تَحْتَهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ(٧٠).

وَالْقُرْآنُ مَقْصُودُهُ جِنْسُ اللِّبَاسِ الَّذِي يُلْبَسُ عَلَى الْبَدَنِ وَفِي الْبُيُوتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾(٧١) الْآيَةَ. فَامْتَنَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنَ الْأَنْعَامِ فِي اللِّبَاسِ وَالْأَثَاثِ وَهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- مَعْنَى إِنْزَالِهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُ مِنْ ظُهُورِ الْأَنْعَامِ وَهُوَ كُسْوَةُ الْأَنْعَامِ مِنَ الْأَصْوَافِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ بَنُو آدَمَ مِنَ اللِّبَاسِ وَالرِّيَاشِ. فَقَدْ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ.

---

(٦٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٢/٣٢٦). وذكره الطبري في تفسيره (١٢/٣٦٤) ولم ينسبه لأحد وإنما قال: يقولون: "أعطاه سرجًا بريشه" و "رحْلا بريشه" أي بكسوته وجهازه.

(٦٨) انظر: تفسير الطبري (١٢/٣٦٤) وتفسير القرطبي (٧/١٨٤).

(٦٩) قال الثعلبي في تفسيره (١٢/٣٢٦): ﴿وَرِيشًا﴾ يعني مالا، في قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، والضحاك، والسدي. وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٣٦٤-٣٦٥) عنهم جميعًا.

(٧٠) قال القرطبي في تفسيره (٧/١٨٤): وَقَالَ الْفَرَّاءُ: رِيشٌ وَرِيَاشٌ، كَمَا يُقَالُ: لِبْسٌ وَلِبَاسٌ. وَرِيشُ الطَّائِرِ مَا سَتَرَهُ اللَّهُ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ الْخِصْبُ وَرَفَاهِيَةُ الْعَيْشِ. وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ: أَنَّ الرِّيشَ مَا سَتَرَ مِنْ لِبَاسٍ أَوْ مَعِيشَةٍ.

(٧١) سورة النحل، رقم الآية (٨٠).

وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ كِسْوَتُهُمْ مِنْ جُلُودِ الدَّوَابِّ، فَهِيَ لِدَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. وَأَعْظَمُ مِمَّا يُصْنَعُ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ إِنْعَامَهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَذَكَرَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أُصُولَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يَعِيشُ بَنُو آدَمَ إِلَّا بِهَا[٧٢]، وَذَكَرَ فِي أَثْنَائِهَا تَمَامَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يَطِيبُ عَيْشُهُمْ إِلَّا بِهَا.

فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا الرِّزْقَ الَّذِي لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ، وَذَكَرَ مَا يَدْفَعُ الْبَرْدَ مِنَ الْكِسْوَةِ بِقَوْلِهِ ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٧٣] ثُمَّ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ ذَكَرَ لَهُمُ الْمَسَاكِنَ وَالْمَنَافِعَ الَّتِي يَسْكُنُونَهَا: مَسَاكِنُ الْحَاضِرَةِ وَالْبَادِيَةِ، وَمَسَاكِنُ الْمُسَافِرِينَ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ الْآيَةَ. ثُمَّ ذَكَرَ إِنْعَامَهُ بِالظِّلَالِ الَّتِي تَقِيهِمْ الْحَرَّ وَالْبَأْسَ، فَقَالَ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ

---

(٧٢) قال الله في سورة النحل (٥-٨) ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال الإمام الرازي في تفسيره (١٩/١٧٥): وَاعْلَمْ أَنَّ مَنَافِعَ النَّعَمِ مِنْهَا ضَرُورِيَّةٌ، وَمِنْهَا غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى بَدَأَ بِذِكْرِ الْمَنَافِعِ الضَّرُورِيَّةِ .... قَوْلُهُ ﴿وَمَنَافِعُ﴾ قَالُوا: الْمُرَادُ نَسْلُهَا وَدَرُّهَا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَسْلِهَا وَدَرِّهَا بِلَفْظِ الْمَنْفَعَةِ، وَهُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الْوَصْفِ الْأَعَمِّ، لِأَنَّ النَّسْلَ وَالدَّرَّ قَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْأَكْلِ؛ وَقَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْبَيْعِ بِالنُّقُودِ، وَقَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ بِأَنْ يُبَدَّلَ بِالثِّيَابِ وَسَائِرِ الضَّرُورِيَّاتِ. فَعَبَّرَ عَنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ بِلَفْظِ الْمَنَافِعِ لِيَتَنَاوَلَ الْكُلَّ.

(٧٣) سورة النحل، رقم الآية (٥).



﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٧٤) وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا مَا يَقِي مِنْ الْبَرْدِ، لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَذَلِكَ فِي أُصُولِ النِّعَمِ؛ لِأَنَّ الْبَرْدَ يَقْتُلُ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَعِيشَ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ بِلَا دِفْءٍ، بِخِلَافِ الْحَرِّ فَإِنَّهُ أَذَى لَكِنَّهُ لَا يَقْتُلُ كَمَا يَقْتُلُ الْبَرْدُ، فَإِنَّ الْحَرَّ قَدْ يُتَّقَى بِالظِّلَالِ وَاللِّبَاسِ وَغَيْرِهِمَا، وَأَهْلُهُ أَيْضًا لَا يَحْتَاجُونَ إلَى وِقَايَةٍ، كَمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ الْبَرْدُ؛ بَلْ أَدْنَى وِقَايَةٍ تَكْفِيهِمْ وَهُمْ فِي اللَّيْلِ وَطَرَفَيْ النَّهَارِ، لَا يَتَأَذَّوْنَ بِهِ تَأَذِّيًا كَثِيرًا؛ بَلْ لَا يَحْتَاجُونَ إلَيْهِ أَحْيَانًا حَاجَةً قَوِيَّةً. فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾(٧٥) وَلَا حَذْفٌ فِي اللَّفْظِ وَلَا قُصُورٌ فِي الْمَعْنَى، كَمَا يَظُنُّهُ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ حَقَائِقَ مَعَانِي الْقُرْآنِ؛ بَلْ لَفْظُهُ أَتَمُّ لَفْظٍ وَمَعْنَاهُ أَكْمَلُ الْمَعَانِي؛ فَإِذَا كَانَ اللِّبَاسُ وَالرِّيَاشُ يَنْزِلُ مِنْ ظُهُورِ الْأَنْعَامِ، وَكُسْوَةُ الْأَنْعَامِ مُنَزَّلَةً مِنْ الْأَصْلَابِ وَالْبُطُونِ، كَمَا تَقَدَّمَ فَهُوَ مُنَزَّلٌ مِنْ الْجِهَتَيْنِ، فَإِنَّهُ عَلَى ظُهُورِ الْأَنْعَامِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ بَنُو آدَمَ حَتَّى يَنْزِلَ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَفْظُ نُزُولٍ إلَّا وَفِيهِ مَعْنَى النُّزُولِ الْمَعْرُوفِ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ نُزُولًا إلَّا بِهَذَا الْمَعْنَى. وَلَوْ أُرِيدُ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى لَكَانَ خِطَابًا بِغَيْرِ لُغَتِهَا. ثُمَّ هُوَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْمَعْرُوفِ لَهُ مَعْنًى فِي مَعْنًى آخَرَ بِلَا بَيَانٍ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ

---

(٧٤) سورة النحل، رقم الآية (٨٠-٨١).

(٧٥) سورة النحل، رقم الآية (٨١).

بِمَا ذَكَرْنَا.

وَبِهَذَا يَحْصُلُ مَقْصُودُ الْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ، الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَيَّنَهُ، وَجَعَلَهُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَهُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

